

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فاعلموا -رحمني الله وإياكم- أن السلف كانوا مع زهدهم وعبادتهم وعلمهم بسعة رحمة الله يخافون ألا يتقبل منهم، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ المؤمنون 60

وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «هم الذين يصومون ويتصدقون ويخشون ألا يتقبل منهم».

والمرويات عن السلف في ذلك كثيرة مما يدل على إخلاصهم وخوفهم من الله تعالى، لذلك كان من الأمور الخطيرة التي ينبغي التنبيه لها مسألتان: مسألة ردّ العمل، ومسألة حبوط الأعمال، وهذه المسألة بيّن الله تعالى خطرها وعظم شأنها وضرب لذلك مثلاً فقال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ البقرة 266

وفي صحيح البخاري عن عبيد بن عمير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ضرب الله مثلاً لعمل، قيل أي عمل؟ قال: لعمل رجل كان يعمل بطاعة الله ثم أحرق الشيطان عليه عمله.

وهنا أذكر بعض الأسباب المؤدية إلى حبوط العمل - عسى الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ علينا ديننا.

تنبيه العمال إلى محبطات الأعمال :

أولاً: الشرك بالله تعالى: وهو الداء العضال والمرض القاتل لا محالة إلا أن يتوب صاحبه، ومن تاب، تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ الزمر 65

وقال تعالى عن أنبيئه والصفوة من خلقه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام 88 وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ التوبة 17

إن من سنن الله تعالى التي لا تتغير أن الله لا يقبل من عباده عملاً إلا أن يأتوا بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عبد الله بن جدعان وكان رجلاً مشركاً مات في الجاهلية يطعم الطعام وينصر المظلوم وله من أعمال البر الكثير، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما نفعه ذلك، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

ثانياً: الردة عن دين الإسلام: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ البقرة 217 وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ المائدة 5

ثالثاً: الرياء ، مثل أن يقوم الرجل فيصلّي فيزين صلاته لما يرى من نظر الناس إليه.

أو يريد بعمله الحياة الدنيا وهو شر أنواع الرياء، قال تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴿ هو د 15-16

رابعاً: انتهاك محارم الله في الخلوة. عن ثوبان رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليأتين أقوام من أمتي يوم القيامة بحسنات كأمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها

الله هبأً مثوراً، فقالوا: صفهم لنا يا رسول الله نخشى أن نكون منهم؟ فقال: هم منكم يصلون كما تصلون ويصومون كما تصومون ويأخذون من الليل ما تأخذون، غير أنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها»⁽¹⁾.

خامساً: المن بالعمل الصالح. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ البقرة 264

سادساً: رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وقد عدّ العلماء رفع الصوت عليه بعد وفاته كرفعه في حياته قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الحجرات 2 قال القرطبي: هذا في حال حياته وبعد مماته لأنه محترم حياً وميتاً صلى الله عليه وآله وسلم فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ الحجرات 3 فعبر بغض الصوت مع أن الغض للبصر، وهذا أعلى مراتب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

سابعاً: التآلي على الله. روى مسلم في صحيحه من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أن رجلاً قال والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان قد غفرت لفلان وأحببت عملك».

ثامناً: كراهية شيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن عمل به:

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ محمد 9

فكراهية شيء من شرع الله تعالى وهدى نبيه الأمين محبط للعمل، كالذي يعتقد أن الشرع لا يصلح في هذه الأزمنة ويروونه جموداً ورجعية، أو يقول عن حكم حكم الله به ورسوله: لو كان على هيئة كذا لكان أفضل.

(1) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الصحيحة (5028)

مكتب الدكتور محمد أحمد لوح
قسم الدعوة

أسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ علينا ديننا، ونسأله التوفيق والرشاد، إنه على كل شيء
قدير.

اللهم أعنا على حسن عبادتك، وأعنا على أن نخلص لك ولا نشرك بك شيئاً، اللهم إنا نعوذ
بك من موجبات الزلل، ومحبطات العمل، ونسألك الثبات على الحق حتى نلتقاك يا كريم.
وصل اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه.

(الجمعة 28 / 3 / 1429 هـ = 4 / 4 / 2008 م)